البرجوازية الصغيرة، البرجوازية الوسطى، الاقطاعية، الرأسمالية، التغيير أو الثورة، الخ[113].

وأكثر موطن يتجلى فيه تأثير هذه المنظومة عندما يصل الناقد إلى الخاتمة ـ وهي في نظرنا مقدمة نظرية تأخر ظهورها في الكتاب بلا مبرر ـ وقد تحدث فيها عن طبيعة انبثاق الإديولوجيا ضمن سياق الجدل التاريخي، وكيف أن المجتمع يتحرك ويتغير أولاً، وبعد ذلك تتطوّر النظريات، والإديولوجيات بعد أن تكون قد تولدت مع نمو نمط الإنتاج الجديد، فتبدأ تمارس دورها فيه إلى أن تأتي مرحلةٌ أخرى، وهكذا (ص: 105 - 106).

إن أنضج قسم في الكتاب يمكن أن يُعْتَمَدَ عليه في تحديد الأهداف، هو هذه الخاتمة بالذات، لأن الناقد قدم فيها أقصى ما استطاع أن يتمثله ضمن نظرية الإنتاج الأدبي، وطبيعة علاقته بالإديولوجيا مُركِّزاً على الفن الروائي بالخصوص. وفي هذا القسم يلقي الناقد بعض الضوء على مفهوم «الرؤية» الذي ظل يتردَّد في الكتاب دون أن يستقر على مرتكزٍ صلب من الوضوح النظري والفعالية التطبيقية، ذلك أن الهدف الذي نذر الناقد نفسه له في كتابه، وهو تحديد علاقة فئة من المثقفين العرب بواقعهم من خلال الرواية، كان يقتضي الكلام عن رؤية هؤلاء المثقفين إلى الواقع، غير أن الناقد لم يصل إلى ضبط نسبي لهذا المفهوم إلا بعد أن كان قد انتهى من التحليل.

حول مفهوم الرؤية:

يثير الناقد هذا المفهوم عند القسم الثاني من الكتاب وهو تحت عنوان «جماليات المعرفة»، إذ يبدأ بالكلام عما يسميه وجهة نظر العمل الروائي في راهن المجتمع (ص: 15)، ولكنه يتحول بعد قليل إلى الحديث عن رؤية الروائي (ص: 17) محاولاً تقديم توضيح غير مباشر لهذه الرؤية عندما يرى بأن الرواية ـ لاحِظ العودة إلى الرواية ـ باعتبارها شبكة «علاقات مشابهة لشبكة العلاقات الاجتماعية، تقدم إمكانيات تفسير مختلفة لشبكة علاقاتها وشخصياتها» (ص: 17). ومع أن هذا التوضيح قد يذكّر بمفهوم الرؤية إلى العالم عند «غولدمان» إلا أن كثيراً من الجوانب تظل غير واضحة في تصور الناقد لمفهوم الرؤية؛ من ذلك هل الرؤية الروائية أم رؤية الكاتب هي التي تكون ذات طابع فردي أو جمالي—. كيف يتم اكتشاف واستخراج هذه الرؤية من العمل الروائي؟ إننا لا نجد في معظم الدراسة إلا إشارات سريعة وعامة لا تقدِّمُ قناعةً كافية بأن الناقد قد تحكم في معظم جوانب المنهج الذي كان ينظر به إلى الموضوع. وبهذا الصدد يمكننا أن نتحدث عن ملامح مفهوم «البنية الدالة»، وهو مفهوم له علاقة وطيدة بالرؤية. وتحديدُ

(113) انظر كتاب الرواية والواقع، صفحات: 25 - 28 - 30 - 41 - 90.